المعجم العربي في الدراسات الاستشراقية
(المعجم العربي اللاتيني)

أ. عبد الله بوروة
المدرسة العليا للأساتذة، الرباط

تمهيد:

لعل من أبرز مظاهر الدعوة إلى الاشتغال باللغة العربية من قبل الحركات التبشيرية، في القرن الثالث عشر وضع معجم عربي لاتيني، وهو معجم تنعدم المعلومات حول مؤلفه وتاريخ صدوره، ولكن من المؤكد أن وضع هذا المعجم تم على يد أحد المبشرين[1] الذين شكلوا النواة الأولى للعمل الاستشراقي.

ولا شك في أن الدراسات الاستشراقية في بدايتها نشأت لخدمة التبشير الديني، الذي حمل لواءه القساوسة والرهبان لاسيما عندما فشلت الحروب الصليبية في تحقيق أهدافها، والمتتبع لمراحل تطور الدراسات العربية في أوروبا يلاحظ أنها ترجع إلى القرن الثاني عشر، ففي سنة 1143م رعى بطرس المبجل أول ترجمة للقرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية، وكان ذلك على أرض إسبانيا، وفي تلك الفترة كذلك وضع أول قاموس عربي لاتيني.

«وفي هذا الإطار يمكن أن نعد تشكيل رئيس رهبان دير كلوني « بطرس الموقر – PETRUS VENERABILIS» الذي احتضن مشروع التوبة والتكفير

---

(1) هناك ما يحمل على الظن أنه يهودي، لوجود أسماء عربية وعبرية للأحجار الكريمة، مكتوبة بالعربية في آخر الكتاب. ولكن المستشرق الهولندي «دوزي *dozi*» يؤكد أنه كان من نصارى الأندلس، أو أنه يهوديا قد تنصر.

لفريق من المترجمين، بمثابة الجهة المفتتحة لتشكل الاستشراق الإسباني والعالمي، في مطلع القرن الثاني عشر الميلادي بالأندلس. لقد احتضنت عملية الترجمة هذه ميلاد الاستشراق، من حيث كونه طلبا غربيا للشرق، وتصورًا محددًا له، والمقصود بالشرق في هذا المضمار الإسلام وثقافته، أما الغرب فهو النصرانية وثقافتها»[(2)].

ويبدو أن عملية الترجمة التي استجابت للشرقنة[(3)]، قد احتضنت بدايات الاستشراق الإسباني، وشكلت إحدى روافده الأصيلة التي تمده بتصوراته لموضوعه، وهذا الأمر جعل عملية الترجمة ترافق جميع مراحل هذا الاستشراق وأطواره المختلفة، لتستجيب بذلك إلى مختلف مجالات اهتماماته المفضلة. كما افتضت هذه الشرقنة التعرف على الإسلام وتراثه لتيسير مواجهته، والتمكن من مكوناته الثقافية واستيعابها، ضمن استراتيجية تكوين الذات الإسبانية النصرانية وتشكيل هويتها الحضارية. وبذلك دارت الترجمة في تلك الفترة حول ترجمة القرآن، لمعرفة العقيدة كأساس للحضارة الإسلامية، واتجه الاهتمام بالمعجم العربي كمدخل لدراسة علوم العربية ونقلها.

- المعجم العربي اللاتيني:

وهكذا تزامن مع ترجمة «كتيننز» للقرآن، في النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي، وضع معجم لاتيني عربي (Latino_Arabic)، يرجع

(2) العسري محمد عبد الواحد : الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني، من ريموندوس لولوس إلى أسين بلاثيوس، دار المدار الإسلامي، بيروت لبنان، ط2، 2015، ص95.

(3) يراد بها شرقنة شبه جزيرة إيبيريا خلال العصور الوسطى، نتيجة الفتح الإسلامي وتراثه الذي حمل دماء جديدة، ونمطا للعيش مستوحى من الإسلام، ونشير هنا إلى أن مفكرًا من كبار علماء وفلاسفة التاريخ الاسباني «*Sanchez-Albornoz*» نفى هذه الشرقنة، وذهب إلى القول بوجود قطيعة بين المشارقة والأندلسيين، لأنه اعتمد نظرية الطبائع في تفسير التاريخ، انظر : يفوت سالم، حفريات الاستشراق (في نقد العقل الاستشراقي)، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 1989 ص 30 – 31.

انظر أيضا: *Claudio Sanchez – Albornoz,Espagnoles aute la historia, segundaed, Buenos Aires, 1969, P29-66*

الفــضل فــي وضعه إلــى الأوســاط التي اهتمت بإجراء مناظرات عقلية مع المسلمين، وبنفس القدر إلى المساهمة الأوروبية فيه، وهذا المعجم الذي لا توجد منه إلا مخطوطة واحـدة ب "لـيدن"، لم توافنا المصادر باسم مؤلفه، ولا بمكان وتـاريخ صدوره، خاصة وأن مخطوطة هذه النسخة غير كاملة، وإن كـان محتواه يـدل على أنه ألـف في إسبانيا المسيحية. ومـن المـرجح أن يكون واضع هذا القاموس، أحد المستعربين من المبشرين الإسبان، أو أحـد اليهود الـذين لهم دراية باللغة العربية، أراد منه أن يكون عونا له في عملية التبشير.

ويذكر المستشرق الهولندي «رينهارت دوزي»، أن هناك ثلاثة معاجم ألفت في إسبانيا في القرون الوسطى، أقدمها «المعجم اللاتيني-العربي» الذي تتضمنه مخطوطة ليدن رقم 231، وقد تملكه «سكاليجر» الذي تسلمه من «غيوم بوستل»، حيث أفاد منه كتابه : «Thesaurus Linguae Arabicoe»، الذي لم ينشر، ولكن توجد نسخته الأصلية في مكتبة ليدن رقم 212، كما أفاد منه معاصره «رافلنجوس في تأليف معجمه «Lescicon Arabicum»، (ليدن 1613)[4].

ويبدو أن هناك اختلافًا حول تاريخ تأليف هذا المعجم، حيث يذهب البعض إلى أنه قد ألف في أواخر القرن الثامن الميلادي، ويرى «سكاليجر» أنه ألف قبل أواخر القرن العاشر بقليل، ولكن التحقيق في الأمر من قبل «دوزي-Dozy»، يبـيـن أن المخطـوطة تـرجع إلى تاريخ أحـدث مـن القرن العاشر، لأن قسما منها مكتوب على ورق، وقسما آخر منها مكتوب على ورق من القطن، وأغلب ورقها من النوع الأخير، ويؤكد أنه لا توجد قبل القرن الحادي عشر الميلادي كتب مكتوبة على ورق من القطن، مما يدل على أن المخطوطة تنتمي إلى مخطوطات القرن الثاني عشر الميلادي، وهذا ما أثبته عالمان خبيران من علماء قراءة الخطوط القديمة هما «رايت» من كمبردج و«كارابسك» من فيينا[5].

(4) رينهارت دوزي : تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه محمد سليم النعيمي، وزارة الثقافة والعلوم، العراق، 1978، مقدمة الترجمة، ص17-18.

(5) المرجع نفسه، ص18.

وجدير بالإشارة إلى أن هـذه النسخة ليست أصلية، بـل هي نسخة منقولة، وإن كانت النسخة الأصلية ليست أقدم منها بكثير إذا نظرنا إلى ما فيها من عربية، ومن المؤكد أنها صنفت في إسبانيا لاحتوائها على ألفاظ كثيرة مقتبسة من أصول لاتينية وعربية(6).

وإذا كان اسم مؤلف هذا المعجم مجهولا، فهناك ما يرجح الظن أنه يهودي، لوجود أسماء عربية وعبرية للأحجار الكريمة، مكتوبة بالعربية في آخر الكتاب، وهناك أسماء لاتينية وعربية للكواكب والبروج مـع ترجمتها العبرية مكتوبة بخط عـبري، بيد أن حـبر هـذه الأخيرة مختلف، ومن المحتمل أن كاتبها غـير الناسخ الأول، ولكن بالنظر إلى الطبيعة اللغوية لهذه الترجمة، يمكن أن نميل إلى رأي «يوهان فوك» الذي يقول إنه كان مسيحيا من أهل الأندلس، وأنه كان يهوديا قد تنصر.

ويلاحظ على هذا المعجم اشتماله على خليط غريب من الكلمات القديمة، التي لا توجد إلا عند قدماء اللغويين، وألفاظ من عصور اللاتينية الأولى، التي لا يذكر مؤلف هذا المعجم في كثير من الأحيان ما يقابلها بالعربية، لذلك كثر فيه الغلط والخلط بين الكلمات والمعاني وكتابة الحروف ومخارجها، فلا يميز بين الذال والظاء، وبين السين والصاد(7).

«وقد اعتمد صاحب المعجم على الكتب العربية، التي تدرس بالأندلس في القرن الثاني عشر، ومن هنا ظهر جزء منه على شكل قاموس، وفي جزئه الآخر على شكل معجم، ورغم الأخطاء الشائعة في استعماله للكلمة اللاتينية الواحدة لعدة كلمات عربية، وعدم الالتزام بتطابق المعاني، فإن هذا المعجم كان بمثابة القطب الثاني الذي ارتكزت عليه الدراسات الشرقية»(8).

---

(6) المرجع نفسه، ص 18

(7) المرجع نفسه، ص 8-19.

(8) عربيي محمد ياسين : الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي، منشورات المجلس العمومي للثقافة العربية، الرباط، ط 1، 991م، ص 146.

يقول "يوهان فوك" في هذا الصدد : "وتكشف الطبيعة اللغوية لهذه الترجمة عن أنها أعدت من قبل رجل كان يتحدث العربية بطلاقة، الشيء الذي يفهم منه بأنه كان لأحد المستعربين، أي لمسيحي إسباني عاش في ظل الحضارة واللغة العربيتين"(9).

ويؤكد "أحمد بدر" في حديثه عن الدور، الذي قام به المستعربون في نقل المؤثرات الحضارية عن طريق الكتب، فيقول : "من ناحية أخرى ضم مجتمعها (الأندلس) كل العناصر الملائمة للنقل، من العربية إلى لغة أو لغات يفهمها الغزاة، فإضافة إلى العرب المسلمين كان فيها مستعربون، وفئة من اليهود الذين مهروا بمعرفة لغة الغزاة مع العربية"(10).

وجدير بالإشارة إلى أن المستعربين، كانت لهم خصائص تميز هويتهم العلمية عن بقية زملائهم، تتمثل في طبيعة علاقتهم بالإسلام والعرب والعروبة، فانصب اهتمامهم على الماضي العربي الإسلامي لشبه جزيرة إيبيريا. ويمثل هذا الاتجاه "لوبيث غارثيا برنابي" (LOPEZ GARCIA BERNABE)، الذي يرى أن اهتمام المستعربين المفضل، هـو الماضي المشار إليه، لأنهم يعتبرونه "شرقهم الأليف" (Nuestro oriente domestico) وهو جزء لا يتجزأ من دائرة تشكيل هويتهم التاريخية والثقافية الخاصة(11).

وقد ظلت الثنائية اللغوية للمستعربين حية، لاستعمالها في شؤون الحياة اليومية، فأسهمت بذلك في إغناء اللغة الرومانسية بمختلف الألفاظ العربية، حيث وصلتنا بواسطة مستعربي طليطلة، مجموعة بالغة الأهمية من وثائق الكتاب العدول بخط عربي، حفظت سابقا في خزانة سجلات كاتدرائية المدينة، قبل

(9) فوك يوهان : تاريخ حركة الاستشراق، تعريب عمر لطفي العالم، دار قتيبة، بيروت، ط1 – 1417هـ – 1996 م – ص 19.

(10) بدر أحمد : تاريخ الأندلس، مكتبة أطلس – دمشق 1983، ج 3، ص 407.

(11) *lopez Garcia Bernabé : «Arabismo Yoreutalisno en Espana» Radiografia y diagunostico de un germio exaso y apartadizo AWRAQ , Arejo al volume x5 1990 40.*

انتقالها إلى الخزانة الوطنية للسجلات التاريخية بمدريد. ويصل عدد هذه الوثائق إلى ألف ومائة وخمس وسبعين وثيقة عـدلية للقرنين الثاني عشر والثالث عـشر للـميلاد، جمـعها "انخل غونزاليز بالنيثا" فـي عـمل رائع[12].

وكانت الترجمة في القرن الثاني عشر، تتم من العربية إلى اللاتينية عن طريق الواسطة، حيث تجري شفوية إلى الإسبانية العامية بواسطة اليهود، وعن طريق المتلمذين في المدارس العربية. وتظهر أهمية المعجم في وضع الأساس لمقارنة المصطلحات العربية باللاتينية وتحديد معاني الكلمات، إذ هيأ مناخا لوضع قواميس ومعاجم أخرى، حتى أصبح في القرن السابع كما يقال لكل كلمة عربية ما يقابلها في اللاتينية، خاصة عصر المستشرق الهولندي "اربين" (Erbinne).

ومما يلاحظ على واضع هذا المعجم العربي اللاتيني، أنه كان يفتقر لقدر من المعرفة باللغة اللاتينية، بالإضافة إلى ما لوحظ من عجز في التفريق ما بين الترجمة والشرح الموضوعي. وهكذا فبدلا من إعطاء المرادف اللاتيني بالمفردة العربية المناسبة، لزم ما أورده الشارح اللاتيني، حيث إن كلمة "لحن" اللاتينية ترجمة بعبارة "صوت عذب"، فقد كتب خلفها "غناء حلو" بالعربية.

وقد ترجمت عبارة قناة الري «Fista ula aquaductus de pgumbo» بعبارة "قنوات الرشاش التي يجري فيها الماء". وبسبب الجهل بمعنى المفردة، فكثيرا ما فاته الانتباه إلى الخطإ الفادح في الشرح، فعبارة "Alipes" المستقاة من الشاعر «فيرجيل» ومعناه (بخطى سريعة) عبر عنها بكلمتي (equs velox). فلم يجد هذا المترجم أمامه سوى "Alipes equus"، فكتب كلمة "فرس" خلفها... وحيث إن الشروح اللاتينية عادة ما أهملت بعدئذ في المخطوط الوحيد الذي انتهى إلينا في حالة وجود مقابل عربي، فإن ترجماته الخاطئة لا تظهر على الأكثر، إلا حين كون

(12) انظر :

Angel Gonzalez palencia, os Mozarabes de toledo enlos siglos XII y, XIII, 4 vols. (Madrid Instiuto de valencia de donjuan, 1926 – 1930).

الشروح معروفة لدينا في معجم آخر، وخير ما نرجع إليه في هذه الحالة "معجم كوربوس"[(13)] الغزير الذي يفي بالغرض. وكذلك "معجم تيزورس" لواضعه (ج. جوتس). فإذا ما ترجم الكلمة اللاتينية "feniceum purpurrot" بكلمة "وردي"، وجدناها مطابقة هنا وهناك.

ومن مظاهر النقص في هذه الترجمة، أن المترجم يكدس المرادفات، فمثلا كلمة "qauasso"، وضع لها على الأقل ستة عشر مرادفا عربيا، ثم يضع في مقابل ذلك مرادفا عربيا واحدا لست عشرة كلمة لاتينية. مثال كلمة "قربان" ترادفها (sacrificium victima ... holocaustum, libamen)، وكلمة "كافر" ترادفها (infidelis , imfdus) ويضيف إليها (... perfidus, imcredulus, sacrilegus)[(14)]

وهكذا، يلاحظ على هذا المعجم، أنه سلك نفس المسلك الذي سارت عليه المعاجم اللغوية قبله، واكتفى بمطلق معنى اللفظ، وأدت الترجمة الحرفية للكلمات إلى مدلولات ركيكة، إضافة إلى تقديم المصطلحات اللاهوتية، فلكلمة "مقبرة" استعمل "دير"، وللإرادة استعمل كلمة "اختيار"، وكانت النتيجة

---

(13) يعنى حاليا المستغرب «ديل باركنوس» مخترع «الكوربوس العربي» *Arabic Corpus* – بتطويره لموقع الكوربوس العربي على شبكة الإنترنيت واستخدام مرادفات اللغة العربية، وقد صرح في حوار أجراه معه عبد الرحمان أبو المجد قائلا: "اللغة العربية لغة حيوية، حية، واعتقد أن العرب يجب أن يكونوا فخورين بتراثهم اللغوي، وأشعر بالسعادة لأنهم ورثة هذه التقاليد اللغوية ...".

انظر المقال على الموقع الإلكتروني "الألوكة"، نشر بتاريخ 2014/05/08 09/07/1435، وتم تصفحه يوم 2015/02/03 على *http://www.alukah.net/culture/0/70342* : .

-انظر أيضا: المقال لصاحبه عبد الرحمان أبو المجد بعنوان "انتصارا للقرآن" يتحدث فيه عن المشروع البحثي بعنوان "كوربوس القرآن *Corpus coranicum*..." ، بدأ هذا المشروع عام 2007 م في أكاديمية برلين براند نبورغ للعلوم والإنسانيات، ومن وحدات المشروع جمع المخطوطات القديمة، وتوثيق النصوص البيئية للقرآن، وتفسير القرآن في سياق تطوره التاريخي كما يزعمون، ويبقى السؤال المطروح: ماذا أعددنا لهذا المشروع الألماني الكبير، الذي يستهدف القرآن ؟ نشر بتاريخ 2013/05/16 على موقع ملتقى أهل التفسير وتم تصفحه يوم 2015/05/16 على *http://tafsir.net/tafsir36309*

(14) فوك يوهان : تاريخ حركة الاستشراق، ص 20.

المنطقية لمثل هذا العمل أن يتوقف لا سيما أنه أهمل ثلث الكلمات المدونة، التي تبلغ حوالي إحدى عشرة ألف كلمة[15].

- رايموندوس مارتيني:

في إطار فكرة التبشير التي أدت إلى ترجمة القرآن، وإلى الاهتمام باللغة العربية وعلومها، استمر النضال ضد الإلحاد عن طريق الوعظ والإرشاد، والمناظرات التي أشرف عليها الوعاظ الدينيون لطائفة الدومينيكان[16] والفرنسيسكان[17].

ويجب التذكير بالمشروع البيكوني[18] الذي دعا إلى تعلم اللغات كاليونانية، والعربية، والعبرية، إذ كانت القيادات الروحية تكتفي بالترجمات لتثقيف المريدين، فإن طائفة الدومينيكان عزمت على تأليف كتاب يوضع تحت تصرف أعضائها يعينهم في مهمتهم التبشيرية[19]، ولم توكل هذه المهمة إلى مجرد مبشر له إلمام بطبيعة العلاقات في حقل العمل الديني وعلمه باللغة، بل لأحد كبار فلاسفة الكنيسة الكاثوليكية "توماس الإكويني" الذي ألف الكتاب "Summa contra gentiles" حوالي سنة 1260م[20].

---

(15) المرجع نفسه، ص 21.

(16) الدومينيكان أو الإخوة الوعاظ أسس رهبانيتهم القديس دومينيكوس (1216م) لدحض البدع بالعلم، فانصرفت إلى التعليم العالي في كبرى العواصم، واشتهر منها تراجمة وفلاسفة وعلماء جدل ... انظر: العقيقي نجيب، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ط4، ج3، ص 268.

(17) الفرنسيسكان : هم أتباع القديس الاسيزي (1182 – 1226 م)، من أكبر قديسي المسيحية، إيطالي الجنسية، التفت حوله جماعة من تلاميذه، فذهبوا إلى روما، وسمح لهم البابا بتكوين جماعة من الرهبان، وسرعان ما انتشرت هذه الرهبنة في إيطاليا وخارجها تحت اسم "رهبنة الفرنسيسكان".

(18) ينسب إلى "روجر بيكون" مخطط إنشاء كرسي اللغة العربية في خمس جامعات أوروبية كبيرة، وحامل راية حركة الاستشراق الجديدة في القرن الثالث عشر الميلادي ... انظر : محمد حسن زماني : الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين، ص 95.

(19) كان ذلك بتحريض من القس الدومينكاني رايموندوس بينافورت (توفي سنة 1275 م)، وكان مكلفا بالتبشير في الوسطين اليهودي والإسلامي.

(20) فوك بوهان : تاريخ حركة الاستشراق، ص 23.

في ظل هذه الظروف، برزت نخبة ممن عرفوا اللغة العربية أو أي لغة شرقية أخرى، من بينهم القس الإسباني "رايموندوس مارتيني" (Raymundos Martini)، الذي أظهر في مؤلفه (Rugio fidei adversus maurus et judaeos)، أنه ضليع في اللغتين العربية والعبرية. وفي هذا الكتاب الذي أراد منه أن يكون سلاحا تعتمده طائفته للدفاع عن المسيحية، يناقش اعتراضات اليهود على فكرة الخلاص وعقيدة التثليث، ولا يستقي مادته المعرفية من أصل العهد القديم (التوراة) وترجمتها فحسب، بل يستمدها من مخطوطات التلمود، وأحبار اليهود، ابتداء من المشنا والمدراش حتى عصر راشي وكمشي اللذين توفيا في (1105م و1235م)[21].

وفي هذا الصدد يقول "محمد حسن زماني" : «ومما يلفت النظر بقوة في حياته وحروبه العلمية والدينية، أنه كان يستفيد بشكل كبير في ردوده على اليهود من الآيات القرآنية، وأيضا من مؤلفات الإمام محمد الغزالي مثل كتاب : «المنقذ من الضلال» و«تهافت الفلاسفة» و«مشكاة الأنوار» و«ميزان العمل»، ومؤلفات ابن سينا مثل «الإشارات» و«أرجوزة ابن سينا» ومؤلفات ابن رشد، والفخر الرازي مثل «المباحث الشرقية»[22].

ويضيف أنه «ألف كتابا عنوانه "خلاصة ضد القرآن" لم يصل إلى أيدينا، غير أنه ركز معظم اهتمامه في محاربة اليهود والطائفة المنافسة له، أي الطائفة الفرنسيسكان»[23].

والناظر في سوء مؤلفاته التي ساجل فيها الإسلام، يلاحظ أنها تطرح مشكلات فيلولوجية كثيرة، فعلى سبيل المثال نجد كتابه "سيف الإيمان ضد

---

(21) المرجع نفسه ص 23 – 24.

(22) زماني محمد حسن : الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين، ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم،المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط 1، 2010 ص 95.

(23) المرجح نفسه ص 94.

المسلمين واليهود" (Pugio Fidei adversus Mauros et judeos) يتضمن قطعا من كتاب : "ضد الوثنيين" (suma contra gentiles) لحليفه في هذا المجال المتعلق بالجدل الديني بفرنسا» توماس الاكويني (santo tomas de aqui)[24]، الأمر الذي جعل بعض الدارسين يؤكدون نقل أحدهما من الآخر، أو تأثر أحدهما بالآخر[25].

يقول محمد عبد الواحد العسري في هذا الصدد : «وله في هذا المضمار كذلك عمل دال اشتهر بين دارسيه بعناوين متعددة، مما جعل بعضهم يتصورون بأنها تحيل على كتب مختلفة ألفها على دفعات متتالية، الظاهر حسب ما انتهى إليه النقد الفيلولوجي والمضموني الذي خصها به «جوزيب هرناندو Josep hernando»[26]، أنها مجرد كتاب واحد تناول فيه الفرقة المحمدية وأصلها وتطورها، إلى جانب نقد نبوة محمد (ص)، ورفضها والاستدلال على زيفها»[27].

ويبدو وأن كتاب «توماس الاكويني (Suma contra gentiles) الذي يخص الكنيسة الكاثولوكية، كان دافعا لطموح هذا المبشر الدومينكاني لتأليف كتاب له وظيفة تبشيرية، جعلته يتقن العربية ويستوعب علومها، ويطلع على نصوصها الأصلية، في الترجمات اللاتينية التي يكتب بها. وهكذا تم وضع كتابه «خنجر الإيمان ضد اليهود والمسلمين» سنة 1278 م، اعتمد فيه «رايموندوس مارتيني» على الأسلوب القرآني، ويستشهد بأحاديث من صحيحي البخاري ومسلم، يدافع بها عن قدسية السيدة مريم للرد على التصور اليهودي عن المسيح وأمه، وقد ركز في هذا الكتاب على نقد فلاسفة العرب وخاصة ابن رشد.

---

(24) Aquinatis thomae : S, Liber de veritate catholicae Fidei contrae errores infidelium qui dicitur, Suma contra Geutiles, 1678.

(25) Bobles : «En Torno a una vieja polémica : (el lugio-fider) y Tomas de Aquino» Revista espanola, 34, 1974 – 1975,35/32-39.

(26) يذكر عبد الواحد العسري في الهامش أن "جوزيب هرناندو *J.Hernando*" رجع إلى مختلف النسخ المخطوطة لهذا الكتاب المحفوظة بمكتبة "بورغودي أوسما *Bourgode osma*" وبالارشيفات العامة لروما*Archivos generalicios OP de Roma* ، وبجامعة كامبردج *universidad de Canbridge*للاستدلال على ذلك.

(27) العسري محمد عبد الواحد : الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني، ص 133 – 134.

وبالجملة، فإن مضامين هذا الكتاب تفصح عن تصور صاحبه للإسلام، وتدل على المجاملات النصرانية للإسلام بالأندلس، حيث كانت تهدف إلى دحض الرسالة الإسلامية ورفضها، وذلك بتشويه صورتها لتحصين النصارى ضد جاذبية الإسلام وقوة عقيدته. كما أن هذا الكتاب يبين عملية التبني والاستيعاب عن طريق حركة التبشير والتحامها بالاستشراق في شخص المبشر والمستشرق "رايموندوس مارتيني"، إذ بترجمة القرآن إلى اللاتينية وعلوم العقيدة الإسلامية، وترجمة العلوم النظرية والتطبيقية تهيأ المناخ النفسي لدراسة اللغة العربية، لاستعمالها في الخطابة والإقناع والحوار مع مسيحي إسبانيا، الذين يعيشون في كنف المسلمين ويتعلمون في مدارسهم، ومن جهة أخرى يمثل هذا الكتاب نموذج الاستيعاب والتبني للعقل التاريخي العربي في العصر الوسيط، حيث إن كتب "التهافت" و"تهافت التهافت" و"المنقذ من الضلال" ... -التي اعتمدها اريموندوس – تمثل في واقعها صورة مجملة لحقيقة هذا العقل، دون أن ننسى معرفة العصر الوسيط بعلوم العقيدة أي علوم القرآن والحديث.

ويذكر "محمد ياسين عريبي" في حديثه عن "رايموندوس مارتين" أنه "في القرن الثالث عشر وضع أحد المبشرين قاموسا عربيا لاتينيا ولاتينيا عربيا اتبع فيه الاعتماد على الأسلوب القرآني كما فعل "رايموندوس مارتين" على سبيل المثال، وهذا القاموس يشترك مع سابقه في عدم معرفة مؤلفه وفي وجود مخطوطة وحيدة منها بفلورنسا، التي نشرت سنة 1881م تحت عنوان "مفردات في العربية" (Arabica Vocabolista)"[(28)].

وإذا كان القاموس الأول – اللاتيني العربي – يمكن التعرف على مصادره من خلال اعتماده على الكتب العربية التي تدرس بالأندلس في القرن الثاني عشر، فإن هذا الأخير – معجم مفردات في العربية – لا يشير إلى مصادره، بيد أن بعض المراجع تشير إلى نسبة القاموس "اللاتيني العربي" إلى "رايموندوس

(28) عريبي محمد ياسين : الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي، ص146-147.

مارتيني". وفي إطار هذا الاعتقاد الذي تعضده مختلف الشهادات المتوافرة حول هذا الشخص، أنه أتقن اللغة العربية[29] وانتمى إلى أحد مراكز الدراسات اللغوية الشرقية، يؤكد «أنخيل جنثالث بالنثيا- Angel Gonzalez Palencia» في قوله : «ومن أولئك الذين حركهم ذلك الدافع الجدلي إلى دراسة العربية «رايموندوس مارتين» وكان قسًا دومينيكيًا قطلونيًا فقد اجتهد في تعلم لغة العرب، حتى أتقنها كما يدل على ذلك القاموس اللاتيني العربي الطريف الذي ينسب إليه عادة (نشره سكياباريلي-Schiaparelli 1872م)»[30].

ونحن لا نستطيع الركون إلى ما ذهب إليه المستشرق الإسباني «انخل جنثالث بالنثيا» في هذا الصدد، لأن معظم المصادر الأجنبية تشير إلى انعدام المعلومات حول مؤلف هذا القاموس اللاتيني العربي كما هو الشأن بالنسبة لمعجم مفردات اللغة العربية (Vocabolista Arabica).

يقول «عمر لطفي العالم» في حديثه عن هذا الموضوع : "وبعد موت (لولوس) اقتفى أثره مؤلف مجهول في تأليف ما يدعى (Vocabolista Arabica)، ورتب بحسب الأبجدية العربية"[31].

وعلى أي حال، فإن العربية في المخطوطة الوحيدة التي وصلت إليه، تشير بوضوح إلى نفس يد الكاتب الذي سجل سباب «لولوس» وشتمه للإسلام

---

(29) وعن إتقانه للعربية وعلومها وتفوقه فيها عن "رامون لول" انظر:

. Garcias Palou : sebastien, Ramon liul el Islam, Palma de Mallorica, 1981, 95-96

ويشهد له كذلك إتقانه للعبرية واللاتينية والكلدانية، حيث وصف بأنه كان "راهبا في اللاتينية، وفيلسوفا في العربية، وحاخاما في العبرية". انظر :

Colmer Eusebi, «la Controversia Islamo –Judio- Cristina en la Obra Apologética de Ramon Martin», Dialogo filosofico –religiso entre cristianismo, juduaismo e islamismo durante le endad media en peninsula iberica, Berpols, Belguim, 1994, 232, Nota10.

(30) جنثالث بالنثيا أنجل : تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الإسبانية د. حسين مؤنس الناشر مكتبة الثقافة الدينية، ص603.

(31) العالم عمر لطفي : المستشرقون والقرآن، ص20.

برسم قرآني، فتلك إشارة ينسبها إلى أوساط الطوائف التبشيرية، وبالتالي إلى القرن الثالث عشر : وتشير كثرة الحواشي في الشروح اللاتينية إلى شرق إسبانيا، كمنشأ قطري.

ومما يلاحظ على هذا المعجم أنه كان في أول الأمر معجما للمفردات العربية اللاتينية، أضيف إليه كشاف عربي لاتيني، وهذه العلامة الأصلية تسمح بالتعرف عليها كذلك في صياغة العمل الذي بين أيدينا، والذي ينطلق فيه القسم العربي اللاتيني من اللاتيني العربي. وفي الوقت الذي يضع فيه الجزء الأول الكلمة اللاتينية المناسبة خلف كل مفردة من المفردات العربية البالغ عددها 8000 كلمة، يحتوي الجزء الثاني هذا على أكثر من 4000 مقالة غزيرة البيانات : فتحت كل كلمة هنا يورد عدة مرادفات يتجاوز عددها اثنتي عشرة كلمة مرادفة، ويورد خلف الاسم جمعه بالطبع، ويقرن الأفعال بعدة صيغ، ويذكر أصل الفعل، ويلحق بالأسماء أيضا اشتقاقاتها، كما يذكر تحت الاسم الاشتقاقات التابعة له، فتحت الاسم : (Corona) تاج مثلا مصطلحات الفعل (Koronen) يتوج. وبصفة خاصة عادة ما تدرج تحت مفهوم النوع العام التسميات لكل واحد اسمه الشائع، كأنواع الفاكهة، أسماء العنب... وفي غنى الثروة اللفظية للملبوسات (Pupura) ينعكس مستوى المعيشة العالي، بينما تسمح أسماء مثل، توابل، خردوات، عطورات، عقاقير، أحجار كريمة ومنتجات أخرى، تسمح بالتعرف على الجانب القوي من تجارة الحوض الشرقي المتوسط[32].

ومما يدل على انتماء هذا المعجم إلى الأوساط، التي اهتمت بالمجادلة والتبشير الدينيين بالأندلس، أنه يتضمن مصطلحات الكنيسة اللاهوتية، بدءًا بكلمة (Apostata) (مرتد عن العقيدة) و(Apostolus) (حواري) وانتهاء ب (Trirats) (تثليث)، ويكثر فيه ذكر الشخصيات التوراتية والمحلية، ويقل ذكر

(32) فوك بوهان : تاريخ حركة الاستشراق، ص 32-33.

أسماء المدن الإسبانية والأوروبية والمسيحية كلها بما فيها روما على العكس من المعجم العربي اللاتيني، كما أنه يتناول من حين لآخر الفروق بين الاستعمالات اللغوية الإسلامية والمسيحية، ولئن كانت كلمة (غازي) قد رمز إليها بكلمة واحدة فقط (Pirata)[33].

يتضح مما تقدم، أن المؤلف رغب في جمع الثروة اللفظية للحياة اليومية، في المحيط الذي يحتاج إليه المبشر للتواصل مع أي مثقف مسلم، وهو يمزج بين اللغة العامية لعرب إسبانيا واللهجة القاطولونية، تلبية لاحتياجات التبشير العلمية في الوسط الإسلامي، وهكذا فإن المفردات العربية لم تعجم طبقا لقواعد اللغة العربية، بل بالطريقة التي كان يتم فيها التخاطب بها في الأوساط المثقفة، ويؤيد هذه الفكرة «جون براند تراند–J.B.Trend»[34] في قوله: «والواقع أنه كان يوجد أربع لغات اعتاد مسلمو إسبانيا التكلم بها:

1 – العربية الفصحى وهي لغة المتأدبين والبلغاء.

2 – العربية الدارجة وهي لغة دواوين الحكومة والإدارة المدنية.

3 – اللاتينية وهي اللغة التي تستخدمها الكنيسة، لغة التراتيل الدينية يرافقها شكل خاص من الصلوات.

4 – لهجة رومانسية، وأكثرها مشتق من اللاتينية الدارجة، لكن قدر لها فيما بعد أن تكون ما يدعى (بالرومانسية–القشتالية أو بالإسبانية) إحدى اللغات العالمية، التي تقف في مستوى الإنجليزية والعربية»[35].

---

(33) المرجع نفسه ص 33.

(34) جون براند ترند–*J.B.Trend* (1958): رائد من رواد تاريخ إسبانيا، أستاذ في جامعة كمبردج، قام بعدة رحلات في إسبانيا والبرتغال ومراكش ومكسيكو، واشتغل في معهد الدراسات الشرقية بلندن، من كتبه "صورة لإسبانيا الحديثة" (1921م) "موسيقى وتاريخ إسبانيا" (1925م)، "لغة إسبانيا وتاريخها" (1952م)، وضع الفصل الأول من كتاب "تراث الإسلام" لسير توماس ارنولد. انظر: ارنولد سير توماس: تراث الإسلام، عربه وعلق حواشيه جرجيس فتح الله، دار آراس للطباعة والنشر، منشورات الجمل، بيروت–بغداد، الطبعة الأولى 2012، ج1، ص23، وانظر أيضا: العقيقي نجيب: المستشرقون، ج2، ص105.

(35) ارنولد سير توماس: تراث الإسلام، الفصل الأول من وضع "جون براند ترند"، ج1، ص34.

وبهذا فإن أهمية هذا المعجم(36) تكمن في وضع الأساس لمقارنة المصطلحات العربية باللاتينية، وتحديد معاني الكلمات، والتعرف على العامية العربية التي كانت جارية على ألسن الفئة المثقفة بإسبانيا خلال القرن الثالث عشر.

وجدير بالذكر أن الجامعات الأوروبية بدأت منذ هذا العصر، تتميز بتخصصها في استيعاب وتمثل العقل التاريخي حيث اهتمت أول جامعة في إنجلترا «جامعة أكسفورد» منذ البداية بالعلم التجريبي العربي متخدة من كتاب (علم المناظر) للحسن بن الهيثم الذي ترجمه «فيتلو vitello» بعنوان (Alhasini Arabus) (opticae thesaawrus) – اتخذت من هذا الكتاب المثل الأعلى والأنموذج لدراسة العلم التجريبي، وهذا ما فعلته جامعة كمبردج فيما بعد، ومن هنا يتضح لنا سبب تميز المدرسة الإنجليزية بالاتجاه التجريبي حتى يومنا هذا.

ومجمل القول، فإن "رايموندوس مارتيني" يتبوأ مكانة بارزة بين مجموع مفكري نصارى الأندلس والغرب النصراني للقرن الثالث عشر الميلادي الذين اهتموا بمعرفة الإسلام، بوصفه غيرا لهذه الذات، وأن معرفته أصبحت ضرورية لتأسيس الذات النصرانية والدفاع عنها. وضمن هذا المناخ العام شرع هذا الراهب الدومينيكاني في وضع مشروعه الضخم لدراسة تعاليم الإسلام ومواكبة هذه التغيرات، واستطاع أن ينخرط في التحولات العميقة، التي عرفتها العلاقات الإسلامية المسيحية بغرب البحر الأبيض المتوسط في مطلع القرن الثالث عشر الميلادي. ولقد نجح في إنجاز مهمته التبشيرية وإتقان اللغة العربية، وإلمامه بمختلف العلوم الإسلامية من عقائد وعلم الكلام وفلسفة وغيرها، ويؤكد ذلك استخدامه في مؤلفاته عن الإسلام والمسلمين لمصادر عربية

(36) سبقت الإشارة إلى أنه تم العثور على مخطوطة وحيدة من معجم المفردات العربية اللاتيني بمدينة فلورنسا، وتم نشره من طرف الناشر شيباريللي *1881*م، ونضيف هنا أن الناشر أكد عمر المخطوط كما صنف هذا المؤلف تبعا لقدمه ومصدره في موقعه المناسب، خلافا لما جاء في التعليقات غير الصحيحة لمن سبقه، وقوله فقط، بأن للمؤلف أصولا لمعجم لغوي عربي شرقي، بدليل عدم وجود أسماء أماكن مغاربية فيه باستثناء البربرية، لا يبقى رأيه على تماسكه. ومرد الضعف فيه يرجع إلى أن الجزء العربي اللاتيني منه لم يكن يمثل في الأصل سوى فهرس للجزء اللاتيني العربي.

وإسلامية كثيرة، وتوثيقه الصحيح للمعلومة وترجمته الدقيقة لعناوينها ومضامينها. فلا غرابة في أن يعتبره مؤرخو تطور الدراسات العربية الإسلامية بالغرب الأوروبي، "أول مستشرق أوروبي" على حد تعبير "مونتير يدي فيلار – Montert de villard» وأهم "أستاذ للاستشراق في القرن الثالث عشر" على حد قول «أ.بيرتي، A.berthier»، و"دماغ الدراسات اللغوية" حسب وصف «أنخل كورتابريا A.Cortabaria»[37]. وإذا كان هؤلاء قد اعترفوا بقيمة هذا الرجل وإسهامه في مجال الاستشراق، فلا يجوز أن ننسى أنه كان لمختلف منطلقات العلاقات بين الشرق والغرب، ومحددات[38] علاقة النصرانية بالإسلام في غرب البحر المتوسط ومقتضياتها، دور مهم كذلك في تأطير مشروع «رايموندوس مارتيني» وتوجيه مساره.

---

(37) « il primo prientalista Europeo»

- Villard Montert ; de, lo studio dell' islam in Europ nel WIII secolo, citta del vaticano, 1944, 37.
- Berthier A : «Un maitre orientalist du XIII siècle: Romon Marti» O,P, Archivum Fratrum praedicatorum ; 6 (1936).267, 311.
- Corta Baria, A : «L'étude des langues au Moyen âge chez les dominicains Espagne, orient, Raynond Martini» Mideo, X, 1970, 225.

(38) ولقد أبرز "علي بن إبراهيم النملة" هذه المحددات وتتبعها ليصل بها إلى سبعة عشر محددًا من محددات العلاقة الثقافية بين الشرق والغرب، حيث تعرضت هذه العلاقات منذ قرون إلى قدر كبير من الشد والجذب الفكري والديني. وظهر على الساحة مفكرون من الجانبين قدروا حياتهم وفكرهم لأعمال النظر في هذه العلاقات، نشأة وتطورًا وتجاذبًا بين عوامل التقارب والتعايش أو الفرقة والعزلة والصراع والتصادم، وينبغي النظر إلى هذه المنطلقات والمحددات على أنها محاولة لرصد عدد من العوامل كان لها أثر في تحديد العلاقة، فهي إذا منطلقات ومحددات ومؤثرات في آن واحد، ويحلل هذه المحددات بالترتيب التالي بدءًا بالجغرافيا الجهوية، الحقوق العرقية، الحروب، اليهودية، الاحتلال، التنصير، الاستشراق، الاستغراب، التغريب والبعثات العلمية ثم العولمة اليوم.

انظر : النملة علي بن ابراهيم : الشرق والغرب، منطلقات العلاقات ومحدداتها، فهرست مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الطبعة الثالثة 1431 هـ/ 2010 م، الرياض : ص 7- 8 وص 43 – 265.